القسم الأول : التفسير بالرواية وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : سبب النزول وفيه مطلبان :

المطلب الأول : سبب نزول قوله تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ...﴾

اختلف المفسرون في سبب نزولها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إنَّها نزلت رداً على المشركين لأنهم قالوا : أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً ، فأنزل الله : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] .

---

(1) د.وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ط2 ، ج1 (دمشق : دار الفكر المعاصر ، 1418هـ) ، 258 .
(2) سورة البقرة ، الآيات : 106 ــ 108 .
(3) سورة النحل ، الآية : 101 .
وأنزل أيضاً : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ذكره غير واحد من المفسرين[1] .

الرد على هذا القول :

1ــ على الرغم من أنَّ معظم المفسرين نقلوا هذا القول في تفاسيرهم ، إلا أنَّه لم يذكر أحد منهم حجة يجب التسليم لها بأنَّ هذا القول هو سبب نزول الآية الكريمة ، ولا خبر بذلك عن رسول الله ﷺ ثبتت حجته من جهة نقل الواحد العدل ، ولا من جهة النقل المستفيض ، ولا خبر صحيح بأنَّ أحداً من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ قاله .

2ــ ذُكر في السبب أنه لما قال المشركون ما قالوا ، أنزل الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ

(1)منهم : الثعلبي ، والواحدي ، وتبعهما البغوي ، وكذلك الزمخشري وذكره ملخصاً ولم يحدد فيما إذا كانت رداً على المشركين أم غيرهم ، فقال : " روي أنَّهم طعنوا في النسخ فقالوا : ألاترون ... ... غداً ؟ فنزلت " أهـ ، وذكره البيضاوي وجعله نازلاً في المشركين أو اليهود فقال : " نزلت لما قال المشركون أو اليهود : ألا ترون ... " أهـ ، وأورده الخازن في تفسيره ، والحافظ ابن حجر العسقلاني في العجاب ، كما أورده الشربيني ، وأبو السعود وأورده مطابقاً لما ذكره البيضاوي ، والآلوسي ، وأورده الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره بزيادة منها بعد كلمة غداً : "فقد أمر في حد الزاني بإيذاء الزانيين باللسان حيث قال :﴿فآذوهما﴾[سورة النساء : 16] ثم غيَّر وأمر بإمساكهن في البيوت حيث قال :﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ [سورة النساء : 15] ثمَّ غيره بقوله : ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [سورة النور:2] ، فما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله ..." أهـ ، وبهذه الزيادة أورده الشيخ محمد الأمين في تفسيره ، وهذه الزيادة لم أقف عليها في جميع التفاسير السابقة لتفسير المراغي ، وجميعهم ذكر هذا السبب ولم ينسبه لقائل . ينظر : أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ج1 ، تحقيق : خالد بن عون العنزي (رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى) ، 1093 ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، أسباب النزول ، ط2 ، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان (الدمام : دار الإصلاح ، 1412هـ) ، 34 ، الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل ، ج1 ، تحقيق : محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش (الرياض : دار طيبة ، 1409هـ) ، 133 ، محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج1 تحقيق : أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1429هـ) ، 135 ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج1 (مكة المكرمة : مكتبة عباس أحمد الباز) ، 80 علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج1 (بيروت : دار الفكر ، 1399هـ) ، 92 شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي المعروف بـ ابن حجر العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ، ج1 تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس (الدمام : دار ابن الجوزي ، 1418هـ) 348 ، محمد بن أحمد الشربيني ، السراج المنير ، ج1 (بيروت : دار الكتب العلمية) ، 95 ، محمد بن محمد العمادى المعروف بـ أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج1 (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، 143 ، محمود الآلوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني ، ط2 ، ج1 (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، 351 ، أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ج1 (مصر : مكتبة ومطبعة البابي 1365هـ) ، 179 ، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَميّ العَلَويّ الهَرَريّ الشَّافِعِيّ ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، ج2، تحقيق : د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي (بيروت : دار طوق النجاة ، 1421هـ) ، 191 .

آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] ، وأنزل الآية التي هي موضوع البحث ، وما ينبغي أن يلاحظ أنَّ سورة النحل مكيّة متفق على مكيَّتها ، واختُلِفَ في مدنية آيات منها ، ليست الآية الآنفة الذكر واحدة منهن[2] . أما آية سورة البقرة فمدنية ، فكيف يكون سبب نزول واحد لآية مدنية وآية مكية في آنٍ واحد !

القول الثاني : إنَّها نزلت لبيان نسخ الآيات التي أنساها الله لنبيه ﷺ ، ذكره غير واحد من المفسرين[3] .

أدلة هذا القول :

عن ابن عباس ﷺ أنَّه قال : كان مما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل وينساه بالنهار ، فأنزل الله : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ الآية [4] .

عن قتادة[5] : كانت الآية تنسخ الآية ، وكان نبي الله ﷺ يقرأ الآية من السورة ، ثم تَرفع

---

(1) سورة النحل ، الآية : 101 .

(2) ينظر : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ط3 ، ج4 (بيروت : المكتب الإسلامي ، 1404هـ) ، 425 ــ 426 . وقال رحمه الله في تفسير الآية 101 من سورة النحل : " سبب نزولها أن الله تعالى كان ينزّل الآية ، فيُعمَل بها مدة ، ثم ينسخها ، فقال كفار قريش : والله ما محمد إلاّ يسخر من أصحابه ، يأمرهم اليوم بأمر ، ويأتيهم غداً بما هو أهون عليهم منه ، فنزلت هذه الآية ، قاله أبو صالح عن ابن عباس [ﷺ] " أهـ . ينظر : ابن الجوزي ، المرجع السابق ، 491/4 .

(3) منهم : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، والإمام السيوطي . ينظر : العسقلاني ، مرجع سابق ، 349 جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية 1422هـ) ، 20 .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق عكرمة ، وساقه ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم سنداً ومتناً ، وعزاه السيوطي في أسباب النزول إلى ابن أبي حاتم ، وزاد نسبته في الدر المنثور إلى ابن عدي وابن عساكر ، وكان قد ذكر في خطبة كتابه " جمع الجوامع " أنَّ ما عزاه إليهما ضعيف . ينظر : عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، ج1 ، تحقيق : أسعد محمد الطيب (مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، 1417هـ) ، 200 ح1058 ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، تحقيق : مصطفى السيد محمد ، ومحمد السيد رشاد ، ومحمد فضل العجماوي ، و علي أحمد عبد الباقي ، وحسن عباس قطب (الجيزة : مؤسسة قرطبة ، 1421هـ) ، 11 ، السيوطي ، المرجع السابق ، السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج1 ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر ، 1424هـ) ، 543 . وسند الحديث عند ابن أبي حاتم " حدثنا أبي ثنا ابن نفيل ثنا محمد بن الزبير الحراني عن الحجاج الجزري عن عكرمة عن ابن عباس [ﷺ] به " وفي السند محمد بن الزبير إمام مسجد حران قال فيه أبو حاتم : " ليس بالمتين " وقال به أبو زرعة : " في حديثه شيء " . ينظر: ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج7 (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1271هـ) ، 259 . وحجاج هو : حجاج الرقي مجهول الحال . ينظر : ابن أبي حاتم ، المرجع السابق ، 169/3 . وعلى هذا فالإسناد ضعيف .

(5) قتادة هو : قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل : قتادة بن دعامة بن عكابة ، من كبار التابعين ، حافظ العصر، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وأبي العالية رفيع الرياحي وآخرون كثر ، وروى عنه أئمة الإسلام أيوب السختياني ، وابن أبي عروبة ، ومعمر بن راشد ، والأوزاعي وغيرهم ، قال الإمام أحمد بن حنبل : " كان قتادة عالما =

فيُنَسِّيها الله تعالى نبيه ﷺ ، فقال الله تعالى يقصُّ على نبيه : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ الآية[1]

الرد على هذا القول :

هذا القول لا يصح أن يكون سبباً للنزول ، والخبرين الواردين كدليل على صحته ؛ أولهما ضعيف ، والآخر قول تابعي لم يصرح فيه أنَّه أخذه من صحابي ولا يعضده قول تابعي آخر ، ومن جهة أخرى فإنَّ

معنى هذين الخبرين هو أنَّ النبي ﷺ كان ينسى القرآن قبل التبليغ وهذا محال على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [2] .

القول الثالث : إنَّها نزلت رداً على طعن اليهود في الدين عندما نُسخ التوجه بالقبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرَّفة ، ذكره غير واحد من المفسرين[3] .

= بالتفسير" اهـ ، وعن سفيان الثوري قال: "وهل كان في الدنيا مثل قتادة" أهـ ، ت118هـ . ينظر : أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج4 ، تحقيق : إحسان عباس (بيروت : دار صادر ، 1971م) ، 85 ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج5 ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1401هـ) ، 269 ــ 276 ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج8 (حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، 1325هـ) ، 315 .

(1) أورده الحافظ ابن حجر في العجاب ، ومن قبله أخرجه الطبري في تفسيره بلفظ مقارب سيأتي ذكره في مبحث التفسير الأثري ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وأبو داودَ والطبري . وإسناده حسن على ما سيأتي . ينظر : العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ، 349 . وذكر الحافظ ابن حجر بعد هذا الخبر عن قتادة حديث الرجال الثلاثة الذين قاموا في الليل ليقرؤوا آيات من القرآن فلم يقدروا عليها ــ وسيأتي ذكر الحديث في مبحث التفسير الأثري ــ وقال الحافظ ابن حجر بعد الحديث : " ولعل قتادة أخذ ما قال من هذا الخبر" اهـ ، وكلام الحافظ ابن حجر يفيد أنَّ خبر قتادة كان اجتهاداً منه ؛ والاجتهاد غير مقبول في سبب النزول ، والله أعلم .

(2) تعقب الشيخ محمد عبده الخبر الوارد عن ابن عباس ﷺ في سبب النزول بقوله : " ولا شكَّ عندي في أنَّ هذه الرواية مكذوبة وأنَّ مثل هذا النسيان محال على الأنبياء ــ عليهم السلام ..... وقد قال المحدثون والأصوليون : إنَّ من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقلياً كان أو نقلياً ، كأصول الاعتقاد وهذه المسألة منها ، فإنَّ النسيان ينافي العصمة المجمع عليها " اهـ . نقل كلامه محمد رشيد رضا في تفسير المنار ينظر : محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار ، ط2 ، ج1 (القاهرة : دار المنار ، 1366هـ) ، 415 .

(3) منهم : ابن الجوزي ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، وأبو حيان . ينظر : ابن الجوزي ، مرجع سابق 127/1 ، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج3 (بيروت : دار الفكر 1401هـ) 244 ، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّنُ لما تضمَّنه من السُنَّةِ وآي الفُرقان ج2 ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، و محمد رضوان عرقسوسي (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1427هـ) ، 300 ، محمد بن يوسف الشهير بـــ أبي حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج1 ، تحقيق : الشيخ أحمد عادل عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، و د. زكريا عبد المجيد النوتي ، و د. أحمد النجولي الجمل (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1413هـ) ، 511 .

قال الإمام ابن الجوزي[1] رحمه الله : " سبب نزولها : أنَّ اليهود قالت لما نُسِخَت القبلة: إنَّ محمداً يُحِلُّ لأصحابه إذا شاء ، ويحرِّم عليهم إذا شاء ؛ فنزلت هذه الآية " أهـ[2] .

وقال الإمام الفخر الرازي[3] : " اعلم أنَّ هذا هو النوع الثاني من طعن اليهود في الإسلام فقالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه " أهـ [4] .

الرد على هذا القول :

إنَّ هذا القول شبيه بالقول الأول ، والفرق بينهما أنَّ القول الأول يفيد أنَّ الآية نزلت رداً على المشركين لما قالوه ، وهذا القول يفيد بأنَّها نزلت رداً على اليهود لما قالوه ، وهذا الأخير لو ثبتت صحته لكان أولى في سبب النزول ، لأنه يوافق تاريخ نزول الآية ، لأنَّ الآية مدنية[5]

وهذا ما تؤيده القاعدة التفسيرية الترجيحية : " إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجِّح

---

(1) ابن الجوزي هو : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر ، له نسب يصل إلى أبي بكر الصديق ﷺ ، له مصنفات منها في التفسير (المغني) وهو كتاب كبير ، واختصره في أربعة مجلدات وسماه (زاد المسير) ، وله (تذكرة الأريب) في اللغة ، وله (تلبيس إبليس) ، وله مصنفات غير ذلك يصل مجموعها إلى مئتين ونيِّف وخمسين ، ت عام 597هـ . ينظر: ابن خلكان ، المرجع السابق ، 140/3 ، الذهبي ، المرجع السابق ، 365/21 ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، ج16 ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة : دار هجر للطباعة والنشر ، 1419هـ) ، 706 .

(2) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، 127/1 .

(3) الفخر الرازي هو : العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الرازي المولد ، الشافعي المفسر صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة 544 هـ واشتغل على نهج والده الإمام ضياء الدين خطيب الري ، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها ، من تصانيفه كتاب في التفسير سمَّاه مفاتيح الغيب ويُعرف بالتفسير الكبير أو تفسير الفخر الرازي ، ت 604 هـ . ينظر : عبد الله بن أسعد بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، ج4 ، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، 1413هـ) ، 11 ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ط3 ، ج4 ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ـ الهند (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1406هـ) ، 426 ، أحمد بن محمد العكري الحنبلي المعروف بـ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج5 ، تحقيق : محمود الأرناؤوط (دمشق : دار ابن كثير ، 1406هـ) ، 21 .

(4) الفخر الرازي ، مرجع سابق ، 244 .

(5) الآية مدنية لأنَّ سورة البقرة كلها مدنية ، بإجماع المفسرين ـ على ما ذكره ابن الجوزي ـ ينظر : ابن الجوزي ، مرجع سابق ، 19/1ـ20. وقد أخرج الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : "لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[سورة القمر : 46] ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده " اهـ . صحيح البخاري ، ح4993 ، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ، 185/6 . ويُستدل بهذا الحديث على أنَّ سورة البقرة مدنية ، ووجه الاستدلال به على مدنية السورة ، هو أنَّ النبي ﷺ لم يدخل بعائشة رضي الله عنها إلا بالمدينة المنورة ، وكان ذلك في شوال من السنة الأولى للهجرة ، على ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة . ينظر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج8 ، تحقيق : علي محمد البجاوي (بيروت : دار الجيل ، 1412هـ) ، 16 .

لما وافقه من أوجه التفسير " اهـ[1] ، لكن هذا القول لم تثبت صحته بحجة يجب التسليم لها ولم يُنسب لقائل .

والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أنَّ المصادر القرآنية المتاحة لي ـ حسب علمي ـ لم تورد سبب نزول صحيح لهذه الآية .

المطلب الثاني : سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ...﴾

ذكر المفسرون في سبب نزولها أربعة أقوال :

القول الأول : أنَّها نزلت في اليهود ، لأنَّهم اقترحوا الآيات على رسول الله ﷺ تعنّتاً واستكباراً ، رجَّحه الإمام الثعلبي [2] ، وذكره غير واحد من المفسرين [3] .

أدلة هذا القول :

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رافع بن حُرَيْمِلة[4] ووهب بن زيد[5] لرسول الله ﷺ : ائتنا

---

(1) حسين بن علي بن حسين الحربي ، قواعد الترجيح عند المفسرين ، ج1 (الرياض : دار القاسم ، 1417هـ) ، 258 .

(2) الثعلبي هو : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، المفسِّر المشهور ، والثعلبي هو لقب لا نسب ، كان أبرع أهل زمانه في علم التفسير ، صنَّف " التفسير الكبير " الذي يُسمى بـ " الكشف والبيان في تفسير القرآن " واشتهر هذا التفسير واقترن باسمه حتى صار يُعرف بـ " تفسير الثعلبي" ، وكان الثعلبي ـ رحمه الله ـ حافظاً عالماً بارعاً في العربية موثّقاً ، وكان كثير الحديث ، كثير الشيوخ ، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : " وكان كثير الحديث ، واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير " اهـ ، ت 427هـ . ينظر ابن خلكان ، مرجع سابق ، 79 ـ 80 ، الذهبي ، مرجع سابق ، 435/17 ، ابن كثير ، البداية والنهاية، 15/ 659 ـ 660 . وأما تفسيره فإنَّه غير مطبوع ـ إلا ما طبع منه محرَّفاً ـ ولكن له نسخ مخطوطة كثيرة ، وقد نقل ابن تعزي بردي في النجوم الزاهرة (283/4) عن ابن الجوزي قوله في تفسير الثعلبي : " ليس فيه ما يعاب إلا ما ضمَّنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية ، خصوصاً في أوائل السور" اهـ .

(3) منهم : الواحدي ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ، وأفرده في سبب النزول كلٌ من : البغوي ، والقرطبي ، والخازن . ينظر : الواحدي ، مرجع سابق ، 35 ، البغوي ، مرجع سابق ، 135 ، ابن الجوزي ، مرجع سابق ، 128 ، الفخر الرازي ، مرجع سابق ، 254 القرطبي ، مرجع سابق ، 313 ، الخازن ، مرجع سابق ، 95 .

(4) رافع بن حريملة : من أحبار يهود بني قينقاع ، ادَّعى الإسلام كذباً ونفاقاً ، وكان رجلاً شريراً خبيثاً ، وكان يحضر المسجد مع بعض المنافقين ، فيسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ : " يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْت رَسُولا مِنْ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ فَقُلْ لِلَّهِ فَلْيُكَلِّمْنَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلامَهُ " أهـ [وسيأتي لاحقاً الكلام على قوله هذا عند الآية 118] ، وقيل إنَّ رسول الله ﷺ قال فيه يوم مات : " قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين " اهـ [ولم أقف على هذا القول لرسول الله ﷺ بهذه السياقة في جميع متون الحديث ، وقد ذكره ابن إسحاق في السيرة مسبوقاً بقوله " فيما بلغنا " وكذلك نقله ابن كثير] . ينظر : محمد بن حبي بن أمية بن عمرو الهاشمي المعروف بـ أبو جعفر البغدادي ، المحبر ، تحقيق : إيلزة ليختن شتيتر (بيروت : دار الآفاق الجديدة)، 470 أحمد بن يحيى بن داود البلاذري ، جمل من أنساب الأشراف ، ج1 ، تحقيق : سهيل زكار، ورياض الزركلي (بيروت : دار الفكر ، 1417هـ) ، 285 ، ابن كثير ، المرجع السابق ، 14/5 .

(5) وهب بن زيد : من أحبار اليهود الذين نصبوا العداوة للإسلام وأهله ، وهو من بني قريظة =

بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتَّبعك ونصدقك ! فأنزل الله في ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1] .

= وهو من أصحاب المسألة ، الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ ، على وجه التعنُّت والكفر . ينظر : البلاذري ، المرجع السابق ، ابن كثير ، المرجع السابق ، 7/5 .

(1) أخرجه ابن اسحق ونقله عنه ابن هشام في السيرة النبوية ، وأخرجه الطبري في تفسيره ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وكلاهما من طريق سلمة به ، وأورده القرطبي في تفسيره ، وابن سيِّد الناس في عيون الأثر وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن إسحاق ، وقال المحققون : " إسناده ضعيف" وأورده الحافظ ابن حجر في العجاب ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وقال : " سنده جيد " اهـ ، وعزاه السيوطي في أسباب النزول إلى ابن أبي حاتم ، وزاد نسبته في الدر المنثور إلى ابن إسحاق والطبري وابن أبي حاتم ، وأورده الدكتور حكمت ياسين في التفسير الصحيح ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وقال : سنده حسن. ينظر : عبد الملك بن هشام الحِمْيَريِّ ، سيرة النبي ﷺ ، ج2 ، تحقيق : مجدي فتحي السيد (طنطا : دار الصحابة للتراث ، 1416هـ) ، 189 قال المحقق : " خبر ضعيف " ، محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج2 ، تحقيق : د عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة : دار هجر ، 1422هـ) ، 409 ، ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم ، 202 ح1074 ، القرطبي ، مرجع سابق ، 313 ، أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيِّد الناس اليَعمُري ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ج1 ، تحقيق : د. محمد العيد الخطراوي ، ومحيي الدين متو (المدينة المنورة : مكتبة دار التراث) 340 ، أبو حيان ، مرجع سابق ، 516 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 16 ، العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ، 351 ، السيوطي ، أسباب النزول ، 21 ، السيوطي ، الدر المنثور ، 554 ، أ. د حكمت بن بشير بن ياسين ، التفسير الصحيح ، ج1 (المدينة المنورة: دار المآثر ، 1420هـ) ، 213 . والسند عند الطبري هو : " حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، وحدثنا ابن حُميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل قالا : حدثنا ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة [هكذا بالشك] ، عن ابن عباس [ﷺ] " به ، هذا الإسناد يتكرر كثيراً في كتب التفسير ، وخاصةً تفسير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن كثير ، والراوي دوماً عن محمد بن أبي محمد هو ابن إسحاق صاحب المغازي والسير ، وقد اختلفت الأقوال في الحكم على سند الحديث ، فقد قال الطبري رحمه الله عنه : " لم تثبت صحته " اهـ [التفسير(185/9)] ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في بعض المواضع [ينظر مثلاً : فتح الباري (332/7)] ، وتارةً وصفه بالجيد [كما في الحديث الحالي] ، وقال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (497/2) : "ومن جيد الطرق عن ابن عباس [ﷺ] ..... ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد ، وهي طرق جيدة وإسنادها حسن " أهـ . وفي هذا السند محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (26/4) برقم 8129 وقال : " لا يُعرف، روى عنه ابن إسحاق " اهـ ، وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب (ص505) وقال : "مدني مجهول من السادسة تفرد عنه بن إسحاق " اهـ ، ومن قبلهم سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم ، فقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير (225/1) ولم يذكر فيه جرحاً ، وكذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (88/8) وذكره ابن حبان في الثقات (392/7) ، وقال الشيخ الأستاذ أحمد شاكر عن سكوت البخاري عن محمد بن أبي محمد وتوثيق ابن حبان له : " وكفى بذلك معرفة وتوثيقاً " اهـ [ينظر: محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تفسير آي القرآن ، ط2 ، ج1 ، تحقيق : أحمد شاكر ، ومحمود شاكر (القاهرة : دار ابن تيمية) ، 219 في الحاشية] ، وقال الدكتور حكمت ياسين في مقدمة التفسير الصحيح (ص40) : " لا نستطيع أن نجزم بتوثيق محمد بن أبي محمد ولا بتضعيفه " اهـ ، وبسبب الاختلاف في توثيق محمد بن أبي محمد أو تضعيفه ، فقد اختلفت أنظار المخرِّجين تجاه هذا السند ، فالشيخ شعيب الأرنؤوط ، والشيخ عبد القادر الأرنؤوط يُضعِّفانه ، كما في تعليقهما على زاد المسير (514/1) والشيخ أحمد شاكر يرتضيه ، فقد علَّق على خبر من هذا الطريق في كتابه عمدة التفاسير (82/3) بقوله : "وإسناده جيد أو صحيح " اهـ ، ومرةً عدَّه ضعيفاً [ينظر تعليقه على تفسير الطبري (219/1) في الحاشية] ، وعدَّه الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي من الأسانيد الضعيفة [ينظر : مقدمة التحقيق في تفسير الطبري ص189 ــ 190] =

قال الإمام الثعلبي : " والصحيح إن شاء الله أنّها نزلت في اليهود حين قالوا : يا محمد ؛ ائتنا بكتاب من السماء تحملُهُ ، كما أتى موسى بالتوراة "[1] .

واحتجَّ على صحة ما ذهب إليه بقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتاب أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السماء فَقَدْ سَأَلُواْ موسى أَكْبَرَ مِن ذلك﴾[2] ، وبأنَّ السورة مدنية .

القول الثاني : إنَّها نزلت رداً على كفار قريش ؛ لأنهم طلبوا المعجزات من النبي ﷺ عناداً واستكباراً ، ذكره غير واحد من المفسرين[3] .

أدلة هذا القول :

عن ابن عباس ﷺ قال : نزلت في عبد الله بن أبي أمية[4][5][ﷺ] ورهط من قريش قالوا:

= وللدكتور حكمت ياسين دراسة لهذا الإسناد ، ذكرها في مقدمة التفسير الصحيح (ص 37 ــ 45) ، خلُص في نهايتها إلى تحسينه فيما يتعلق بالتفسير . وفي رجال الإسناد ابن إسحاق : وهو محمد بن إسحاق صاحب السيرة المعروف ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (17/4) : " وهو حجة في المغازي لا في الأحكام " اهـ ، ومن الجدير بالذكر بأنَّ أغلب روايات محمد بن إسحاق بهذا الإسناد هي في نطاق المغازي والسير فلا غرابة من تحسين هذا الإسناد . وسلمة بن الفضل : صدوق كثير الخطأ ولكن في غير روايته عن محمد بن إسحاق ، قال ابن معين في التاريخ (226/2) : " كتبنا عنه ، وليس في المغازي أتمُّ من كتابه " اهـ ، ويونس بن بكير : صدوق يخطئ وقد روى له الإمام مسلم ، وقال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال (478/4): " حسن الحديث " اهـ ، وأما أنه يخطئ فلا يضر لأنَّ ما يرويه عن ابن إسحاق هو من كتاب السيرة . وأبو كريب هو : محمد بن العلاء كوفي ثقة روى له الستَّة كما في تهذيب التهذيب (342/9) . وأما رواية ابن أبي حاتم فغالباً تكون عن محمد بن يحيى الواسطي أو محمد بن العباس بن بسام ، وكلاهما ثقة كما في الجرح والتعديل (125/8) و (48/8) ، وكلاهما يرويان عن أبي غسان عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق به ، وأبو غسان هو : محمد بن عمرو ، لقبه زنيج وهو ثقة كما في تهذيب التهذيب (328/9) . وعلى ما سبق فهذا الإسناد حسن ، وسأكتفي بهذا الحكم عليه في كل مرة أذكر فيها خبراً فيه أحد هذين الإسنادين ، سواءً من مرويات الإمام الطبري ، أو ابن أبي حاتم .

(1) الثعلبي ، مرجع سابق ، 1111 .

(2) سورة النساء ، الآية : 153 .

(3)منهم : الثعلبي ، والواحدي ، وابن الجوزي ونسبه إلى مجاهد ، والفخر الرازي ، وأبو حيان ، وابن حجر ، والسيوطي . ينظر : الثعلبي ، المرجع السابق ، الواحدي ، مرجع سابق ، 34 ابن الجوزي ، مرجع سابق ، 128 ، الفخر الرازي ، مرجع سابق ، 254 ، أبو حيان ، مرجع سابق ، 516 ، العسقلاني ، العجاب في بيان الأسباب ، 350 ، السيوطي ، أسباب النزول ، 21 .

(4) عبد الله بن أبي أمية ﷺ هو : عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، وهو صهر النبي ﷺ ، وأخو أم المؤمنين أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ ، وأمه عاتكة عمة النبي ﷺ ، وكان قبل إسلامه شديداً على المسلمين ، مخالفاً لرسول الله ﷺ ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ...﴾[سورة الإسراء : 90 ، 91] ولم يزل شديد العداوة لرسول الله ﷺ إلى عام الفتح ثم أسلم وحَسُنَ إسلامه ، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة مسلماً ، واستشهد في الطائف . ينظر : أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ، التاريخ الكبير ، ج5(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1407هـ)، 7 ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج3 ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415هـ) ، 176 ، العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 11/4 ــ 12 .

(5) في بعض نسخ أسباب النزول للواحدي ، جاء اسمه عبد الله بن أبي كعب ، وهذا الأخير لم أقف له على ترجمة فيما لديَّ من مراجع .

يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً ، ووسع لنا أرض مكة ، وفجّر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك فأنزل الله هذه الآية[1] .

وعن مجاهد[2] قال : سألت قريشٌ محمداً ﷺ أن يجعلَ لهم الصَّفَا ذَهَباً ، فقال ﷺ : "نعم وهوَ لكمْ كالمَائدة لبَنِي إسرائيلَ إنْ كَفَرتُم " . فأبوا ورَجعوا ، فأنزل اللهُ : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ أن يُريَهم اللهَ جهرةً[3] .

و في لفظ آخر عنه، قالَ : سألوا مُوسَى عليه السلام أنْ يُرِيَهمُ اللهَ جهرةً ، وَسَألت قريشٌ محمداً ﷺ أن يَجعَلَ لهُمُ الصَّفا ذهباً ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " نَعَم ، وهوَ لكمْ كالمَائدة لبَنِي إسرائيلَ" فأبَوا ورَجَعوا[4] .